Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الراوي ومستويات التبئير في المقامة الثالثة عشر للسرقسطي

The narrator and the levels of focus in Sorqusti's thirteenth Maqama

محمد رضا بن طبولة Mohamed Reda Benteboula
أستاذ محاضر"ب"، جامعة باجي مختار-عنابة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها
Maitre de conf. B, Univ. Badji Mokhtar Annaba, Fac des lettres et des langues, Dept. De langue et littérature arabe
الإيميل المهني: ridabenteboula23@gmail.com

المؤلف المرسل: محمد رضا بن طبولة Mohamed Reda Benteboula
ridabenteboula23@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023-07-19 تاريخ القبول : 2023-09-19

الملخص باللغة العربية:

يسعى هذا المقال إلى رصد مواقع الراوي ومستويات التبئير في المقامة الثالثة عشر للسرقسطي، للوقوف على تعدد الأصوات المرتبط بتعدد الاصوات السردية وتباين وجهات النظر من الحدث الرئيس في المقامة باختلاف مواقف الاصوات السردية. وقد قمنا بدراسة أنواع الراوي المتوفرة في المقامة، مثل الراوي الداخلي والراوي الخارجي، مما برهن على التنوع والتعدد في الرواة والأصوات. كما أبرزت دراستنا للتبئير عن تعدد مستوياته، لتبلغ سبعة مستويات، كما تنوعت موضوعات التبئير بتنوع الأصوات.

الكلمات المفتاحية: السرقسطي؛ المقامة؛ الراوي؛ التبئير؛ وجهة النظر.

Abstract:

This article seeks to observe the positions of the narrator and the levels of ficialization in the thirteenth Maqama of Al-Sarqusti, to discover the polyphony associated with the multiplicity of narrative voices and the divergence of points of view with respect to the main event. in the Maqama according to the different positions of the narrative voices. We have studied the types of narrators available in the maqama, such as internal narrator and external narrator, which proves the diversity and multiplicity of narrators and voices. Our study of focusing also highlighted the multiplicity of levels, reaching seven levels, and the subjects of focus varied with the diversity of voices.

Keywords: Al-Sarqusti; Maqama; narrator; focus; point of view.

المقدمة:

تشكل مقامات السرقسطي المعروفة بالمقامات اللزومية نموذجا من المقامة الأندلسية التي حاكت النموذج المقامي الشرقي في بنيته السردية. وقد تميزت المقامة الثالثة عشر بتعدد الأصوات السردية الناجم عن تعدد الرواة واختلاف مواقعهم، وتلاين وجهات نظرهم من الحدث الرئيس وهو سرقة المال والمتاع. وعليه تسعى هذه الدراسة إلى رصد مواقع الراوي في المقامة الثلاثة عشر واستجلاء وجهات النظر من الحدث من خلال عملية التبئير التي تسمح بالكشف عن موقف كل راو مما يروي تبعا لتأويل أيديولوجي وفهم تحدده وجهة النظر.

أولا- الراوي:

يبنى كل نص سردي على مَحكي، ووجود المحكي يقتضي وجود راوٍ ومروي له، والراوي هو "الواسطة بين العالم الممثل والقارئ، وبين القارئ والمؤلف الواقعي، فهو العون السردي الذي يعهد إليه المؤلف الواقعي بسرد الحكاية أساسا ويهتدي إليه بالإجابة عن السؤال من يتكلم. ويمكن رسم صورته من خلال ما يتركه ضرورة من بصمات في الخطاب القصصي ومن هذه البصمات موقعه الزمني من الأحداث التي يروي ودرجة علمه بها وتشكيله الخاص للغة وما يلجأ إليه من طرائق لاستعادة أقوال الشخصيات ومنها أيضا ضمير السرد ومستواه"[1].

والراوي غير المؤلف، فهو عنصر سردي متخيل وكائن نصي ورقي وهو الصوت القائم بالسرد والمتكلم الممسك بخيوط اللعبة السردية انطلاقا من موقعه الذي يحدّد علاقته بما يرويه وقد "يتعدّد الرواة القائمون بالسرد في المستوى الأولي وقد يصحب هذا المتعدّد تعدّد في التبئير (أو الرؤية أو وجهة النظر) ويمكن أن يتعدد الرواة بتعدد المستويات السردية فيناظر كل راوٍ مروي له يحتلّ وإيّاه المستوى السردي نفسه"[2]. وباعتبار المقامة فنا سرديا يروي وقائع متخيلة ويقوم على بنية سردية تسند الأفعال لبطل والرواية لراوٍ أو الرواة في بعض من المقامات.

وقد تنوع الرواة في المقامات بين رواة من الدرجة الأولى، وهم الرواة المجهولون الذين يشكلون بنية الاستهلال السردي في فن المقامة و "يتخفون وراء ضمائر غائبة أو متكلمة بيت ترون في تضاعيف جملة الاستهلال التي تفتتح بها المقامات تاركين أمر الرواية لغيرهم وقد جعلت ندرة المعلومات عنهم وتحفظهم في الظهور وتكتمهم وإيجازهم الأذهان تنصرف إلى الرواة المعروفين لتنسب إليهم مهمة ليست لهم إنهم رواة الدرجة الأولى أمام المروي له"[3].

ويحيل الاستهلال في المقامة على تقاليد الرواية الشفوية العربية مشكلا بنية فنية وأسلوبية في النص المقامي من حيث:

أولا: كونه بنية فنية تحمل السمات النوعية الخاصة بالنص المقامي متجاورين هذه العتبة إلى نسيج البنية الداخلية المتشكلة من تظافر ثلاثة مكونات هي: الراوي، المروي، المروي له.

ثانيا: يدخل الاستهلال مع النص في علاقة جدلية تنتج عن تفاعله مع عناصر العمل كلها وعليه فإن تناوله في هذا المحور يدور حول الفاعلية الحقيقية له في جسد النص المقامي"[4]. وهو ما يبين ارتباط النص المقامي بالخبر في سعيه إلى توثيق الحدث، وإعطائه مصداقية من حيث:

1) إن الاستهلال السردي ما هو إلا نوع من الاسناد المركب الذي انحدر من تقاليد الاسناد في فن الخبر ولكنه غير في صورة ذلك الاسناد سواء بالتخلص من بعض حلقاته أم في الاكتفاء بضمائر تحيل عليها لتوافق البنية الفنية الجديدة.
2) إن الرواية الثانية المنسوبة لراوٍ معلوم تندرج ضمن رواية أولى منسوبة لراوٍ مجهول.
3) إن الاستهلال السردي يتضمن تعدّدا في مستويات الرواية[5].

ويتميز الرواة المجهولون باعتماد صيغ ثابتة منها حدث قال أخبر وهي جمل مفتاحية تحدد جنس المقامة وتفتتح عالم النص السردي وتكشف بنية الاستهلال في المقامة وأما الرواة عن الدرجة الثانية فهم رواة معلومون بأسمائهم وهم الرواة «المنتجون للسرد والمتحكمون في خيوطه وعنه يروي الرواة المجهولين الذين "سرعان ما يختفون بعد أن يتيقنوا أن الرواة المعروفين يقومون بمهمتهم على خير ما يرام إذ يمكن عدّ جمل الاستهلال إيذانا للرواة المعروفين في البدء بالرواية فهم حالما يبدؤون بها إثر انتهاء جملة الاستهلال»[(6)].

وقد يتعدّد الرواة في المقامة الواحدة وقد يروي البطل حكاية وقعت له أو تروي شخصية أخرى أحداثا ما وبهذا تتعدّد مستويات الرواية في المقامة بحسب أوضاع الرواة فيها وهو ما سنسعى إلى تتبعه في المقامة الثالثة عشر للسرقسطي يمكننا ترتيب الرواة ومستوياته في المقامة كالآتي:

1- الراوي الخارجي:

وهو الراوي المجهول صاحب العبارة المفتاحية "حدث السائب بن تمام قال"[7] وهو راوٍ من الدرجة الأولى يقع خارج الحكاية المروية وهو غير محدد لغياب أي علامات نصية تشير إليه حيث "لا ترسم جملة الاستهلال

القصيرة تصورا كافيا عن هذا الراوي المجهول الذي يتخفى في ثناياها كما لا تكشف أبدا عن رؤيته للعالم الفني الذي يدشن لظهوره ويتجنب أي تعليق أو ملاحظة بشأن الراوي الذي سيتكفل بمهمة الرواية بعده ولا شأن له بالبطل وأفعاله هذا ما يمكن قوله حول غياب رؤيته أما دوره في البنية السردية فهو البوابة التي من خلالها تمر المقامة إلى الملتقى"[8].

وقد اقتصر دوره في المقامة الثالثة عشر على الأخبار وتوثيق سند الرواية وهو السائب بن تمام والتذكير به في المقامة أربعة مرات "قال: فرجعت ..."[9] "وقال: فدخل الحاكم"[10] "وقال: فرجعت معه"[11] ثم ينسحب هذا الراوي الخارجي لان دوره "ينبع «يتبع عن ذلك الموقع الذي يحتله على بنية النص إذ أنه من خلال هذا الموقع يكشف عن هذا السرد التخيلي، مشكلا البوابة التي تمر منها المقامة إلى المتلقي»[12] وبانسحابه ينفتح المجال للراوي الثاني وهو السائب بن تمام لرواية أحداث المقامة.

2- الراوي الداخلي:

يمكننا في هذا المستوى من الرواية أن نقف على تعدد الرواة في المقامة الثالثة عشر، حيث تعددت الأصوات السردية داخلها تتوزع على:

أ- السائب بن تمام:

أول ما نقف عليه في المقامة الثالثة عشرهو غياب الراوي الوسيط المنذر بن تمام الذي يتوسط بين الراوي المجهول والسائب بن تمام في معظم المقامات اللزومية بما يفسح المجال للراوي المنتج السرد والمحرك لخيوط اللعبة السردية وهو راو متماثل حكائيا لأنه مشارك في أحداث المقامة إضافة لقيامه برواية أفعال البطل عن زاوية نظره وموقعه داخل نص المقامة بقول السائب بن تمام "وردت اليمامة ولا أملك سدرا ولا ثمامة، قد أخذت الأرض عرضا وطولا، واقتضيت من زمني مخلفا ومطولا، أذهب في غير مذهب، وأخوض من رأيي في ظلام وغيهب، إلى أن مررت ببعض الأسواق والنفس ذاهبة بين إشفاق وأشواق، وإذا بجمع قد انفضّ ختامه، وسطع قتامه، واستطار وهجه، واستدار رهجه، فتخوفتها حالة، وقلت أنشوطة لا محالة، فتنحيت حجرة، وحسبتها بجرة"[13].

تنطلق الرواية في المقامة بدءا من لحظة انتهاء رحلة السائب بن تمام بوصوله إلى مدينة اليمامة وقد استعمل الراوي ضمير المتكلم للحديث عن وقائع رحلته إلى اليمامة في صورة سرد ذاتي اتّخذ من الذات الساردة موضوعا للسرد كأننا أمام سيرة ذاتية فقام الراوي بتقديم الفضاء الحكائي ليهيأ المتلقي إلى تلقي حدث غير مألوف مرتبط بظهور البطل على مسرح الأحداث في المقامة يقول "فما شعرت إلا بالقوم إليّ سراعا، وقد مدّوا نحوي يدا وذراعا، فاشتملوا عليّ اشتمالان وقالوا: أحقا أودعك هذا الشيخ أثاثا ومالا؟ فقلتُ: لا وحقِّ الشيخ بن عفّان، مالي بهذا الشيخ من عرفان، ولا لي به من عهد، وإني لفي نجد، وهو في وهد، وإني لابن سبيل، وأبيل بن أبيل، وأخو حيّ قبيل، وذو حسب نابه، وقدر نبيل، فاتّقوا الله فيَّ وعليَّ، وإليَّ بهذا الشيخ إليَّ، حتى أتبيّن صورته، وأكشف سريرته، فلهدوه إليَّ لهدًا، وأوسعوه مشقّة وجهدا، فحذر عن لثامه، واعترف بآثامه، وقال: أنا الذي تعرف، ومثلك لا يهرف بما لا يعرف، ويشرف ولا يسرف، ويخفف ويطفف، ويكنُف ولا يعنّف، وإن أمري مع هؤلاء القوم لعجيب، فإنهم لا سيد ولا نجيب، وأسرّ إليّ أن نفس عني أنفّس عنك، وإلا لقيت معي هذا الضنك، والليالي قروض، والصلات فروض، والدهر دوّار، والأيام أطوار، كما تدين تدان، وربما ظفر بالشجاع، الهذان، ومالكم وماله، مزّقتم أسماله، وقبّحتم جماله، وأسأتم احتماله"[14]ثم يسلم خيوط اللعبة السردية إلى أصوات سردية تتكفل برواية الحدث معتمدة

تقنية الاسترجاع ليعود السائب بن تمام إلى للرواية في نهاية المقامة "فرجعت معه أعظمه وأرجبه وأتعجب من أمره وأعجبه وأقول: لله ما أحسن تخلصك وأحمد تبسطك وتقلصك في أي غرض لم يصبه سهمك، بل أي فري لم يفره ذكاؤك وفهمك، فتأملني وقال: هو الدرهم والدينار، آخر ذا همّ وآخر ذا نار، قد أهلكا الناس قديما وحديثا، وغادر في الدهر خبرا لا يملّ وحديثا، فخذهما إليك وفاءً لا جزاء فلا أرى لفعلك كفاءً ولا إزاءً، وسِرْ راشدا، ولا تكن لي ناشدًا. قال السائب: فانثنيت عنه ونفسي معه، وجفني يرسل مدمعه، ويذيل كلّ ما حواه وجمعه"[15].

وقد تحدد موقع الراوي في المقامة بوصفه راويا ومشاركا في الأحداث مما حدّد رؤيته السردية ومستوى التبئير لعالم المقامة.

ب- أهل اليمامة:

ويمكن أن نصنف هذا الصوت السردي تحت ما يعرف بالراوي تحت سردي وهو «أية شخصية تقوم برواية أحداث داخل المقامة غير الراوي الأساسي»[16] وراوية أهل اليمامة متضمنة في القصة الإطار التي رواها الراوي الأساسي... المنتج للسرد حينما راحوا يروون السائب بن تمام ما وقع لهم مع البطل السدوسي: «تلاعب بنا تلاعب الولدان وجرى من الخديعة في أي ميدان، إنه صلّى معنا العشاء، وأتى من حسن القول بما شاء، فعطف منا معاطف وجوانب، وأسال منا متالع ومذانب، وزعم أنه في غد راحل، وأن سوف تطويه المراحل، فسأل المبيت في المسجد، مع كل متهم مثله ومنجد، فاكرمنا عشاءه، ووصلنا رشاءه، وأرحناه من نصبه وعيّه، وقمنا بشبعه وريّه، فلما أصبحنا لصلاة الصبح عثرنا من أمره على قُبح، ووجدنا من كان معه قد سلبه ريشه، وثلّل عريشه، وأوقع بينهم الظنون والتهم، وألبس عليهم أمرهم وأبهم، فأخذنا عليه المسالك والمذاهب، ووكّلنا به المباحث والمناهب، وهو قد انسرب في بعض الخانات، وأودعهم تلك الخيانات، حتى يئسنا من إدراكه، وبقينا نتقلب في حدائق أشراكه، إلى أن قام في هذه الجماعة فتلثّم وتلفّع، وتوسّل بالكتاب وتشفّع، وأخذ في وعظ وتحديث، وقديم من الخبر وحديث، فأمال النفوس إليه بكلّ مميل، وأسرعَتْ نحوه بوخزٍ وذميل، ونحن في ذلك نألف مواقع سجعه، ونأنس بعطفه للكلام ورجعه، حتى تنبّه منا نائم، وقام بذكره قائم، فاشتملنا عليه، نطلبه بما صار إليه، فزعم أنه عندك أودعه، وفي أمانتك ودعه»[17].

وقد استعمل في الرواية ضمير الجماعة المتكلمين بصيغة الماضي وقد عبر هذا المستوى من الرواية عن رؤية أهل اليمامة للحدث وهو سرقة المال والأثاث من وجهة نظر الجماعة بفعل عملية التبئير.

ج- أبو حبيب السدوسي:

تحول بطل المقامة الثالثة عشرأبو حبيب السدوسي إلى راوٍ حينما حاول تبرير الحدث وهو سرقة المال والأثاث بعد أن مثل أمام القاضي يقول: "دعتني داعية الانقطاع، وضرورة القدر المطاع، فحللتهم ضيفا وطرقتهم طيفا، فلم أحلّ بهم إلا لماما، وكنت أخذت عليهم بالقرى ذماما، فتركوني لقىً مطرحا، ولم يبوئوا في ذراهم مقعدا ولا مسرحا، وكلهم يأوي إلى صاحب ونديم، وحديث من أنسه وقديم، يلهث بالمثالث والمثاني، ولا يرى أني له ثالث ولا ثاني، يتمتع بصنجه وربابه، ويأنس بزينبه وربابه، ولا يفكر في طريد أوحشته الغُربة، وأمضته النوى الغَربة، هل في حكم المروءة المرضية، والسيرة الرضيّة، إلا أن أُضيّف ثلاثا، ولا أقدح من زندهم علاثا، ألم يكن لهم في قولي إمتاع، وفي وعظي متاع، وفيما أوردت من الأمثال والحكم، وما يصرفهم عن القاضي والحكم، تالله إن الذنب بهم لاحق، وأن طرف حجتي للوجيه، ولاحق، أما منهم أريب؟ أما فيهم غريب، قد لزّته الأيام في قرن، وألبسته

الخطوب ثوب درن، فيحسن الظنون، ويرسل من قليبه الظنون، ويقول: عسى ولعلّ وليته قد نهى وعلّ، فما أنعم إلا ليطعم، ولا طرّب إلا ليشرب، وما انتجع إلا لينجع، وما سفر إلا ليظفر، وما اقترب إلا ليقرّب، وما شرع إلا ليكرع، ولا وقع إلا لينقع، وما صدح إلا ليجدح، ولا كدح إلا ليقدح، يمنون عليّ في ليلتهم ببيت، ثم يرسلون عليّ كل ثبيت وهبيت، إنه لحكم على شرع المروءة غير جار، وبين يدي مسابق في الفضائل ومجار، يقضي للحسب والنجار، ويأخذ للجار الجنب من الجار، ويلزمكم إلباس من أُعري، وردع من أولي بي وأغرني، ويرعى للعلم حقوقه، ولا يرى مشاقته ولا عقوقه، يصل إذا قضع الزمان، ويؤمن إذا عزّ الأمان، وكأن قد حاق بكم الإيقاع، وسدك الأدقاع، وتمزقتم في البلاد مزقا، وجبتم ثبات وحزقا، وسلبتم عن الطريف والتليد، وشغلتم عن الصاحبة والأولاد، ولولا فضل هذا الولي، وما ينتابك به من الوسميّ والوليّ، لما قطرت مطرة، ولا مطر ساحتكم مطرة، ولعاجلكم العقاب، ورغت فيكم السقاب"[18].

قامت رواية البطل للحدث على تصوره المستند إلى وجهة نظر ورؤية وتبئير لحدث ينطلق من وعي مناقض لرؤية أهل اليمامة للحدث نفسه لهذا ارتبطت الوظيفة السردية بالوظيفتين الحجاجية الإقناعية والأيديولوجية فحاول البطل تبرير موقفه من سرقة المال والأثاث بحقه وأجره من الوعظ والإرشاد وعدم قيام أهل اليمامة بإكرامه وهو ضيف شريد وعابر سبيل فانتصر لنفسه وانتزع حقّه واستردّه منهم.

3- المروي له:

يقتضي وجود راوٍ وجود مروي له حيث "يرتبط مفهوم الراوي عليه بمفهوم الراوي، فلا وجود لأحدهما بدون الآخر وبذلك سيهدف تناول المروي عليه محاولة تصنيف مستويته داخل المقامات وصولا إلى الأدوار التي استهل بها في السرد وذلك بالنظر إلى علاقته بمستويات الرواية"[19].

ويعود مصطلح المروي له إلى ج. جينات الذي ابتدع هذا المصطلح قاصدا: "العون السردي الذي يوجه إليه الراوي مرويه إن يصفه معلنة أو مضمرة وهو لديه كائن متخيل يتنزل في المستوى السردي الذي ينزل فيه Genette 1972 وهو لذلك مستق عن القارئ الواقعي استقلال الراوي من المؤلف الواقعي Gerald prince1973 والمروي له علامات وأصناف ووظائف. أما علاماته فمنها ما يحيل عليه مباشرة من قبيل صيغ المخاطب والصيغ الدالة والغائب والمشيرات وصيغ النداء والاستفهام والتعجب والنفي والاثبات Prince 1973"[20].

وقد تعدّدت مستويات المروي له بتعدّد مستويات الرواية في المقامة الثالثة عشرحيث يمكن أن نميز المستويات التالية:

المستوى الأول: جمهور الراوي المجهول:

ويرتبط هذا المروي له بجمهور المجالس والحلقات التي تعدّ حاضنة فن المقامات وهو الجمهور المتلقي لجملة الاستهلال وهو المروي له "خارج عالم السرد فلا علاقة مباشرة تربطه بأي من مقتضيات السرد وهو المروي عليه غامض لا توجد أية إشارة نصية لصفاته وأهميته ولكن بناءً على تحاليل دور الراوي الأول فيما سبق يمكن اعتبار المروي عليه وهو الوسيط القائم بين هذا الراوي والثقافة المقدم إليها النص"[21].

وهو جمهور ينتمي إلى الثقافة الشفوية ذات الصلة بالسرد العربي القديم وتقاليده وقد اعتبر هذا الصنف من المروي له "هم جمهور وتلامذة المؤلف الحقيق الذي يوجه لهم الحديث في حال إلقاء المقامة على مسامعهم على لسان ذلك الراوي الذي يجرده من نفسه والذي يبعدنا من الوقوع في هذا الخلط عند السرقسطي

أن المقامات لم تعد تلقى في المجالس فقط وإنما خصوصية المقامات والتي تعدو تقليدا متبعا على مرّ العصور يعطينا الحق في أن نعدّ المروي عليه في هذا المستوى مرويا عليه متخيلا لا كما عدّه النقّاد مرويا عليه حقيقة"[22]. ويبدو أن جملة الاستهلال في المقامة العربية هي التي أوجدت هذا المروي له ورسخت وجود في تلقي هذا النوع السردي.

المستوى الثاني: الراوي المجهول:

حيث يتحول الراوي الأول المجهول صاحب الجملة الاستفتاحية إلى مروي له يتلقى أحداث المقامة من الراوي القائم بالسرد وهو السائب بن تمام وفي هذا المستوى "تبدأ العملية التي تعدّ ملمحا مميزا لنوع المقامة عملية تبادل الأدوار إذ يتحول الراوي الإطاري بمجرد تلفظه كلمة حدث أو قال إلي مروي له..."[23].

المستوى الثالث: السائب بن تمام:

وفي هذا المستوى يتحول الراوي المنتج للسرد إلى مروي له بعد أن تولت إحدى شخصيات المقامة وهم أهل اليمامة رواية حدث سرقة الشيخ السدوسي للمال وللأثاث من وجهة نظرهم وهو حدث لم يشارك فيه السائب بن تمام ولم يشاهده لأنه وقع قبل وصوله لمدينة اليمامة.

المستوى الرابع: قاضي اليمامة:

وفيه تحول القاضي إلى مروي عليه حين راح البطل أبو حبيب السدوسي يروي قصته مع أهل اليمامة من وجهة نظره المناقضة لوجهة نظرهم تبعا لاختلاف تبئير كل طرف للحدث الواحد وهو سرقة المال والأثاث. وهذا المستوى من المروي له في المقامة الثالثة عشريخالف الرأي بأن من يروي لهم البطل أبو حبيب السدوسي "أناس يلتزمون الصمت أمام سحر السدوسي فهو بالغ التأثير فيهم شديد الفتنة لهم يقعون تحت تأثير أقنعته مشدوهين مذهولين وممّا يعزّز إعجابهم له وتقديرهم له ذلك اللسان الفصيح والبيان العجيب والأسلوب الفريد وذلك لأنهم قلة بسيطة وساذجة تؤمن بالخرافات والخزعبلات ذات حظ قليل من الثقافة تنبهر بكل شيء من هذا نقطة البداية التي ينطلق منها السدوسي لفرض سيطرته وهيمنته عليهم وذلك من اجل تحقيقه من مأرب في كل مقامة"[24] ولأن المروي له هنا هو القاضي ليس ساذجا أو مغفلا بل هو يعترف بأن سرقة البطل للمال والأثاث فعل حرام لكنه يلتمس له العذر ويقرّ له بالفصاحة والبيان شعرا ونثرا.

4- المؤلف الضمني:

ويطلق عليه أيضا مصطلح المؤلف المقتضى وقد استعمل "للدلالة على الصورة التي يتخيلها المؤلف لنفسه فيسقطها على الأثر وهذه الصورة هي أناه الثانية أي تلك الأنا العميقة التي يجب أن تكون أصدق من أنا الوعي السطحية وهي غير تلك الأنا التي تظهر في عاداتنا وعيوبنا في المجتمع وهذه الصورة المسقطة هي المؤلف وقد أعاد القارئ إنشاءه إبان عملية القراءة بوصف هذا المؤلف هو ذات التلفظ الأساسية في النص فالمؤلف يسقط في نصه صورا صادقة أحيانا قليلا وأحيانا كثيرا تظهر آثارها في مختلف الشخصيات التي تحضر في النص كما لو كانت أدوات للمؤلف مجزاة"[25]

وهو المؤلف المسؤول عن المواقف والافكار والتصورات الفكرية والأيديولوجية والأخلاقية في النص لأنه صاحب الاختيارات التي يبثها في النص ولهذا فإن القارئ "يستنتج استنتاجا غير مباشر موقف المؤلف التأويلي أو الأيديولوجي من خلال ما اختاره هذا المؤلف من عالم قصصي مميز ما فضّله من موضوعات وأساليب ومواقف أيديولوجية يعرضها الأعوان التخيليون: الراوي والمروي له"[26] والبحث عن المؤلف الضمني في المقامة الثالثة عشرليس معناه البحث عن السرقسطي بوصفه الذات المؤلفة أو الكائن الاجتماعي بل البحث عن جانب

من جوانبه بعلاقته بنص المقامة من مواقف وتوجهات فكرية تتوزع على مساحة المقامة في الشخصيات والمكان والرواة والمروي لهم... إلخ.

يمكننا أن نحدد صورة المؤلف الضمني التي تقدمها المقامة الثالثة عشر بالنقاط التالية:

1- تقدم صورة البطل الشيخ أبو حبيب السدوسي نموذج الإنسان الحكيم منتج المعرفة والمراهن على قوة العقل واللسان حيث يبدو اختيار الاسم موقفا من المؤلف الضمني المحب للمعرفة والذكاء.

2- يعلي المؤلف الضمني من قيمة الوعي الفردي مقابل الوعي الجماعي وبقدرة الفرد على تجاوز القيم الاجتماعية.

3- يبدو المؤلف الضمني متمردا على القيم الأخلاقية والاجتماعية بانتصاره للبطل المكدي الذي خرق هذه القيم ومارس المحظور ودنس حرمة الفضاء الديني المقدس بالسرقة في المسجد.

4- يميل المؤلف الضمني إلى المغامرة كما تعبر عنها رحلة كل من الراوي والبطل.

5- يبدو هوس المؤلف الضمني بالمشرق من خلال مسار رحلته التي انتهت بوصوله إلى مدينة اليمامة.

6- يبين غياب البيئة الأندلسية في المقامة على اغتراب الذات عند المؤلف الضمني.

7- تمثل شخصية القاضي في المقامة حضور الرقيب الذاتي عند المؤلف الضمني حيث تطابق هذه الشخصية الضمير الجمعي.

8- انحاز المؤلف الضمني إلى سلطة العقل التي يمثلها البطل على حساب سلطة المال التي يمثلها أهل اليمامة.

9- يؤمن المؤلف الضمني بضرورة التمرد على الواقع وتغييره بإرادة الفرد.

ثانيا - التبئير:

يقصد بالتبئير الإدراك الحسي والمفهومي للعالم السردي. والتبئير «مبحث من مباحث الصيغة والصوت وهو انتقاء للمعلومة السردية أداته بؤرة واقعة في مكان ما هي ضرب من المصفاة لا يسمح إلا بمرور المعلومة التي يخولها المقام (Genette 1983) (...) وهذا المصطلح من وضع جونات 1972) وقد استوحاه من عبارة بروكس (Brooks) ووارن (Worren) يؤرة السرد Focus of narration حتى يخلص المفهوم من البعد البصري الذي توحي به مصطلحاته الشائعة من قبيل الرؤية ووجة النظر»[27].

والتبئير مصطلح بديل لمصطلحي المنظور السردي[*]. ووجة النظر[**]، غير أن «المصطلحين السابقين ليسا على الدرجة نفسها من الدقة التي يحققها مصطلح التبئيرFocalization ولذلك لسببين السبب الأول يرجع إلى ارتباط مصطلحي وجهة النظر والمنظور في تقاليد الدراسات السردية بالراوي الذي يتم اعتباره هو دائما الصاحب وجهة النظر أنه يعتبر طبقا لتاريخ المصطلحين العين التي ترى المشهد السردي وفي الوقت نفسه أي بصورة متزامنة الصوت الذي يحكي لنا المشهد[28].

والتبئير هو العلاقة بين الراوي وعالم المقامة الذي يرويه ولا يقتصر التبئير على الراوي فحسب بل يمتد إلى الشخصية وبصورة عامة يتعلق بالمتكلم في المقامة (الأصوات السردية)، وهكذا فإن التبئير هو القناة التي يمر من خلالها عالم المقامة أحداثا وشخصيات ومكانا وزمانا. وللوقوف على التبئير في المقامة الثالثة عشر للسرقسطي ينبغي تحديد وضعية الراوي داخل نص المقامة حيث يحدد الراوي وهو السائب بن تمام بكونه راويا مشاركا في الحكاية أو بما يعرف الراوي المتماثل حكائيا وهنا وجب التمييز بين السائب ابن تمام راويا والسائب بن تمام

شخصية أي بين الشخصية التي عاشت الأحداث وكانت طرفا فيها وبين الراوي الذي قرر أن يحكي هذه التجربة التي عاشها بعد نهاية أحداثها، باعتبار السرد في المقامات سردا لاحقا أي ينطلق بعد نهاية أحداث المقامة.

1- المبئر:

إذا كان التبئير بالأساس عملية إدراك حسي ومفهومي فإنه علاقة بين ذات مدركة وموضوع إدراك.«والمبئرfocalizer هو الشخص الذي يعرض عالم السرد من خلال إدراكه الحسي والمفهومي إنه المسؤول عن العلاقات القائمة بين مكونات السرد فالأحداث الغفل قائمة هناك بعيدا عن أعيننا وأفهامنا لا يمكن النفاذ إليها إلا عبر شخص يراها فيكسبها وجودا ودلالة من خلال رؤيته تلك (...)»[29]. كما تطلق على المبئر تسميات عديدة منها الرائي والمدرك وذات الإدراك، وذات الوعي، وذات التبئير، ومركز توجيه القارئ، ويسمى في السرديات التلفظية متلفظا (Robatel 1998)[30].

وانطلاقا من تميزنا بين السائب بن تمام الراوي، والسائب بن تمام الشخصية، فإن السائب الراوي شخص يعرض عالم المقامة ويروي أحداثها، بعد أن عاش هذه الأحداث وشاهدها ثم أضحى عالما بنهايتها، مدركا لشخصياتها ونتائجها بخلاف السائب الشخصية الذي كان موجودا أثناء وقوع الأحداث وغير عالم بنهايتها وتفاصيلها، فالمعلومات التي يمتلكها السائب الراوي أكثر كما مما يمتلكه السائب الشخصية، والذي يعنينا في هذا المقام، السائب بن تمام مبئر الأحداث الذي يعرض أحداث المقامة بعد أن أدركها حسيا وأكسبها دلالة ثم قرر أن يرويها من وجهة نظره، فالتبئير في المقامة الثالثة عشرتبئير داخلي متغير، حيث يرتبط الحدث الواحد وهو سرقة المال والأثاث بإدراك أكثر من شخصية ووجهة نظر كل منها.

تنطلق المقامة ككل المقامات التي حافظت على البنية التقليدية للمقامة من تبئير المكان الذي يصله الراوي لأول مرة فيعرض الفضاء الذي ستدور فيه أحداث المقامة ويبئر الراوي انطباعاته عن الفضاء العام في بعده المكاني والزماني المرتبطين بالحدث لذلك فإن «الرواية تبدأ بخلق الحكاية لحظة ابتدائها كما أن الرواي يبذر مكونات الحكاية، فضاء، وأفعالا، وأشخاصا حالما يبدأ روايته وفي الوقت الذي تستمر فيه الرواية تتشكل فيه الحكاية أيضا مما يعني استحالة فصلهما داخل البنية السردية»[31].

والمبئر الرئيسي في المقامة الثالثة عشرهو السائب بن تمام الذي يقوم في الوقت نفسه بدور الراوي وهو الصوت الذي يعرض لنا فضاء المقامة وانطباعاته اتجاه هذا الفضاء «قال: وردت اليمامة ولا أملك سدرا ولا ثمامة، قد أخذت الأرض عرضا وطولا، واقتضيت من زمني مخلفا ومطولا، أذهب في غير مذهب، وأخوض من رأيي في ظلام وغيهب، إلى أن مررت ببعض الأسواق والنفس ذاهبة بين إشفاق وأشواق، وإذا بجمع قد انفضّ ختامه، وسطع قتامه، واستطار وهجه، واستدار رهجه، فتخوفتها حالة، وقلت أنشوطة لا محالة، فتنحيت حجرة، وحسبتها بجرة»[32].

يظهر تبئير السائب بن تمام في صوره عرض لمشهد رحلته من وجهة نظر غريب يتحسس المكان لأول مرة، وينقل انطباعاته عنه من وجهة نظره وكأن تبئيره أشبه بعرض سيرة ذاتية لهيمنة ضمير المتكلم المفرد، فتمثل صورة الراوي المبئر في صورة واصف لحالته النفسية لحظة وصوله اليمامة مصورا وضعه المادي وحاجته إلى المال بعد أن طاف بالأرض وتقلب بأرجائها هائما على وجهه، من مكان إلى مكان، ثم يشرع في تبئير الفضاء المكاني وهو السوق الذي وقع تحت طائلة إدراكه

الحسي، واصفا مشهد الغبار المتطاير الذي ولد له انطباعا بالخوف والريبة، لكونه غريبا عن المكان.

وبعد أن يفرغ الراوي المبئر من رسم الفضاء المكاني الذي تدور فيه أحداث المقامة يهيء القارئ لإدخال البطل أجواء هذه المقامة برسم صورته، يقول السائب بن تمام «هو والله، الشيخ أبو حبيب، ذو اللبّ اللبيب، والسهم المصيب، والفهم الخصيب، وأخو الظهور، والمحلّ المشهور، والمكان النبيه، والعزيز الشبيه»[33]. حدد المبئر هوية البطل الشيخ السدوسي بعد أن تعرف عليه وهذه اللحظة؛ أي لحظة التعرف هي لحظة فارقة في بنية المقامة السردية، ارتبطت في المقامة الثالثة عشر بشيء من الدهشة والاستغراب، وهو الملمح المميز لمقامات الهمذاني ثم الحريري من بعده، ذلك أن «الإيحاء بالدهشة والتعجب، وعدم التوقع أمر شبه ملازم لصيغ التعبير عن موقف التعرف وذلك يبين أن الراوي يفاجأ باللقاء بينه وبين الراوي الذي كان تعرفه موقف سابق بهيئات مختلفة، وعلى نقيض المفاجأة التي تدهش الراوي، فإن المتلقي يعرف أن الموقف سيفضي إلى التعرف حتما، وهكذا في الوقت الذي تتوافر لدى المتلقي إمكانية حدس تطور الأحداث قبل حصولها في المقامة بما فيها موقف التعرف، فإن الراوي يبدو في كل مقامة جاهلا بها ينتظره، فيكون أحيانا ضحية خداع وتضليل الراوي لكن موقف التعرف يتدخل في إزالة الضرر الذي لحق بالراوي عندما يعرف أن المخادع صاحب قديم معروف جيدا لديه»[34].

حدد المبئر السائب بن تمام ملامح شخصية البطل من خلال بعض خصائصه وصفاته الذهنية والمعرفية التي تكشف عن معرفة سابقة بالبطل وإدراك لكل مزاياه، وخصاله حيث ترتسم صورته في ذاكرة الراوي بعد أن انتقل من موقف الجهل به إلى موقف التعرف عليه.

وتكشف المفاجأة والدهشة التي أصابت الراوي لحظة تعرفه على الشيخ أبي حبيب الفرق بين السائب بن تمام الراوي والسائب بن تمام الشخصية، فهو هنا «لا يعلم حقيقة هذه الشخصية إلا بعد أن يصل السرد لحظة التجلي وهي اللحظة التي تعد العنصر الهم في بناء المقامة، إذ إن هذا العنصر هو وراء غياب تقنية الراوي العليم فعلم الراوي ومعرفته بدواخل الشخصيات تتنافى مع ما في المقامات متى تسر وخفاء يترتب عليهما عنصر المفاجأة»[35].

فإدراك الشخصية تم من وجهة نظر الراوي المبئر وقد حدد موقفه من الشخصية حيث رسم أبعادها المعرفية التي يبدو أنها كانت محل إعجاب من الراوي الذي قدم الشخصية من وجهة نظره الخاصة التي تحكمت فيها جملة من الميولات والاهتمامات والتجارب والخبرات وإلآراء والمواقف.

2- مستويات التبئير:

إذا كان السائب بن تمام هو المبئر الرئيسي في المقامة الثالثة عشرالسرقسطي فإنه ليس المبئر الوحيد حيث لا ترتبط مستويات التبئير فقط بالمبئر المباشر للأحداث، إذ توجد مستويات أخرى يمر خلالها السرد قبل أن يصل إلى المتلقي[36].

تنطوي المقامة الثالثة عشر للسرقسطي على التعدد الصوتي الذي يؤدي إلى تعدد تبئيري أو ما يعرف بالتناوب التبئيري حيث يتعلق هذا المصطلح «بالتغيير الذي يطرأ على المراكز أو البؤر التي تدرك منها الأشياء والشخصيات كما يتعلق أيضا بالتغير الطارئ على النمط التبيئري نفسه كالانتقال من التبئير الصفري إلى التبئير الخارجي أو إلى التبئير الداخلي وغير ذلك من أشكال التغيير الحاصلة بين ضروب التبئير في النص السردي

الواحد»[37]. وهكذا يمكننا أن نحدد مستويات التبئير في المقامة الثالثة عشربما يأتي:

المستوى الأول يتعلق بالراوي المجهول أو الراوي الإطاري صاحب عبارة "حدث السائب بن تمام"، وهو تبئير خارجي يقيم فيه المبئر مسافة موضوعية بينه وبين ما سمعه من الراوي المنتج للسرد. فإدراكه لعالم المقامة مرتبط بإدراك الراوي الأساسي السائب بن تمام ومصدر هذا الإدراك سمعي يرتبط بتقاليد شفوية عربية دون أن يحدد وجهة نظره من الأحداث أو الشخصيات.

المستوى الثاني، وهو خارجي أيضا ويتعلق بالسائب بن تمام الراوي ووجهة نظره، وهو يروي أحداث المقامة بعد أن عاش التجربة وأدرك أبعادها فهو يعرض أحداثا اختزنها في ذاكرته بعد أن عاشها وأثناء روايته للأحداث يقدم وجهة نظره لها المستوى الثالث يتعلق السائب بن تمام الشخصية وهو يمر بالتجربة ويعيش الأحداث من منظوره الخاص.

ويمكن أن تحدد مستويات التبئير بالمخطط التالي:

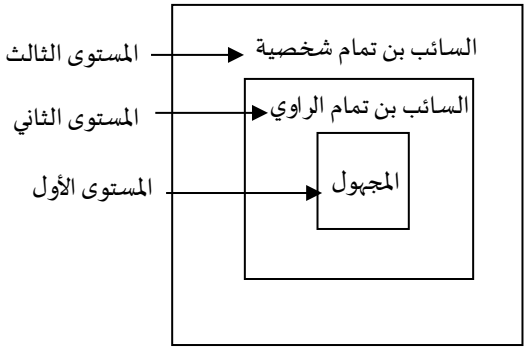

نلاحظ أن مستوى التبئير الأول اعتباري لأنه يتعلق براو لا يملك أي وجود نصي يؤدي إلى التعرف إليه فتبئيره مرتبط بتبئير الراوي المنتج لسرد وهو لا يملك منظورا لعالم المقامة إلا في حدود ما سمعه من الراوي لأنه اختار واحدة من المقامات التي رواها السائب بن تمام، ثم عرض مشهدها كما سمعها دون أن تكون له وجهة نظر محددة، أما المستوى الثاني وهو خارجي أيضا، فيتعلق بالسائب الراوي حالة روايته لأحداث المقامة ويظهر تبئيره في صورة أوصاف أو تعاليق أو أحكام تحدد رؤيته للأحداث؛ لأن «هذه الرؤية لا يمكن أن تتجسد لدى السارد، إلا من خلال اعتماده على موقفه الفكري الإيديولوجي تجاه ما يحيط به، مما يمكن السارد أن يموضع نفسه في مكان محدد ينظر منه إلى اتجاه هو يريد من هنا أن تتجدد سماته وخصائصه النوعية لذا فإن الراوي والرؤية كل واحد متكامل لا يمكن فصل إحداهما عن الآخر فهما متداخلان ومترابطان وكل منهما ينهض على الآخر فلا رؤية بدون راو ولا راو بدون رؤية»[38].

ويظهر مستوى التبئير هنا في بعض الأوصاف «قال أنا الذي تعرف، ومثلك لا يهرف (بما لا يعرف) ويسرف ولا يسرق، ويخفف ولا يطفف، ويكنف ولا يعنف»[39]، فهذه أوصاف تنم عن معرفة سابقة ودراية تامة ووعي بخصائص الشخصية التي أهلت المبئر للحكم عليها كما في قوله « فساروا به إلى حاكم ذلك القطر، وكان مما يستسقى به سيل القطر»[40].

أما **المستوى الثالث** فيتمثل في وجهة نظر السائب بن تمام/ الشخصية، وهي تعايش الحدث وتتفاعل معه قبل أن يشرع في رواية أحداث المقامة ويمكن أن نمثّل في وجهة نظره وهو شخصية بعدم معرفته للبطل الذي ادعى أنه أودعه مالا وأثاثا.

المستوى الرابع؛ ويتمثل في وجهة نظر البطل أبي حبيب السدوسي وهو يروي الحدث للحاكم وهو تبئير خارجي وقد أطلق بعض الأحكام التي وصف بها أهل اليمامة «فحللتهم ضيفا، وطرقتهم طيفا، فلم أحل بهم إلا لماما، وكنت أخذت عليهم بالقرى ذماما، فتركوني لقى مطرحا، ولم يبوئوا في ذراهم مقعدا ولا مسرحا»[41]. إذن فالبطل

يرى أحداثا عاشها فأدركها حسيا ومفهوميا ثم أكسبها دلالة ومعنى.

المستوى الخامس، يتمثل في وجهة نظر البطل الشيخ أبي حبيب السدوسي وهو يعيش التجربة ويعاين الحدث قبل أن يرويه للحاكم ويمكن الاستدلال على وجهة نظر البطل "تبئير داخلي"، حينما تعرف على الراوي في سوق اليمامة بقوله: «أنا الذي تعرف، ومثلك لا يهرف (بما لا يعرف)، ويخفف ولا يطفف، ويكنف ولا يعنف»[42]. يبدو البطل عارفا بالراوي، فقد حدد مجموعة من الصفات التي تمثل وجهة نظره في ما يخص السائب بن تمام.

المستوى السادس؛ الذي يتمثل في وجهة نظر أهل اليمامة وهم يروون الحدث للراوية السائب بن تمام وهو تبئير خارجي وذلك بعد أن عايشوا حدث السرقة، فأصدروا أحكام قيمية كان البطل بموجبها لصا وسارقا ومحتالا ومخادعا.

المستوى السابع يتمثل في وجهة نظر أهل اليمامة وهم يعايشون الحدث قبل اكتشاف أمر الشيخ أبو حبيب السدوسي (تبئير داخلي)، متصورين أنه شيخ واعض زاهد ذو عقل راجح وبلاغة فائقة وقدرة على الإقناع ويمكننا أن نرمز لمستويات التبئير للمقامة الثالثة عشربما يلي:

- المستوى الأول: رؤية الراوي المجهول (تبئير خارجي) ونرمز له بالرمز (أ).
- المستوى الثاني: رؤية الراوي السائب بن تمام (تبئير خارجي) ونرمز له بالرمز (ب).
- المستوى الثالث: رؤية شخصية السائب بن تمام (تبئير داخلي) ونرمز له بالرمز (ج).
- المستوى الرابع: رؤية البطل أبي حبيب السدوسي حال روايته (تبئير خارجي) نرمز له بالرمز (د).
- المستوى الخامس: رؤية البطل الشيخ أبي حبيب السدوسي (تبئير داخلي) نرمز له بالرمز (ه).
- المستوى السادس: رؤية أهل اليمامة (بئير خارجي) نرمز له بالرمز (و).
- المستوى السابع: رؤية أهل اليمامة (تبئير داخلي)، ونرمز له بالرمز (د).

3- موضوع التبئير:

إذا كان التبئير لونا من الإدراك يكون فيه المبئر ذاتا مدركة فإن هذه الذات المدركة تتجه إلى موضوع هو محل الإدراك؛ حيث تتحول المرئيات والمسموعات إلى موضوعات تكتسب دلالة انطلاقا من ميول الذات المدركة واهتماماتها ومفاهيمها، ورؤيتها، وهو ما يسمى بموضوع الإدراك، الذي يطلق عليه أيضا مصطلح المبأر وهو «من مصطلحات مقولة الصيغة اشتقه ميك بال (mieke Bal 1977) من مصطلح جينيت (Genette 1972) التبئير، وهو موضوع التبئير أي المرجع الذي يتركز عليه إدراك المبئر (Rabatel 1998) فهو بهذا يعني مكون من مكونات العالم الممثل سواء كان شخصية أو مكانا أو زمانا أو حدثا وقد يكون المبأر نمط خطاب فنقول؛ الوصف المبأر والسرد المبأر والسرد غير المبأر (Genette 1983)، وغالبا ما يختلف المبأر عن المبئر، كأن تبئر شخصية ما شخصية أخرى أو مكانا تحل به لأول مرة إلا أن المبأر والمبئر قد يتطابقان»[43].

وإذا جئنا إلى المقامة الثالثة عشر للسرقسطي نجد أن تعدد الأصوات فيها قد أكسبها تناوبا تبئيريا وبالتالي تعددا في الرؤى ووجهات النظر وهذا ما يخالف ما ذهبت إليه الباحثة فاطمة عبد السلام الرواشدة التي ترى أن القائم بالسرد في مقامات السرقطي هو الراوي المنتج السائب بن تمام «فهو الشخص الوحيد الذي تقدم المقامة من خلاله للرواة الآخرين. والمسؤول الأول عن العلاقات القائمة بين مكونات النص المقامي، وترتيبها في

إطار سردي يحمل رؤية ما لولاه لبقيت أحداثها بعيدة في غياهب المجهول»[44]. حيث لا ينطبق هذا الرأي على المقامة الثالثة عشر التي تقوم على تعدد تبئيري وتنوع صوتي مما يجعلنا نخالف الباحثة ذاتها فيما ذهبت إليه فيما اعتبرت أن السائب بن تمام «الراوي الوحيد الذي يروي لنا من موقع داخل عالمه السردي الذي يروي عنه ومن خلال رؤيته الذاتية وإدراكه الحسي والمفهومي، فإننا نستطيع القول بأن الرؤية في مقامات السرقسطي هي رؤية داخلية ثابتة تبئير داخلي ثابت»[45]، لأن التبئير في المقامة الثالثة عشر -كما رأينا- داخلي متنوع وخارجي أيضا فوجهة نظر الشخصيات تتنوع إزاء الحدث الواحد (وهو سرقة المال والأثاث).

فهو من وجهة نظر أهل اليمامة سرقة واحتيال، «فقالوا تلاعب بنا وتلاعب الوالدات وجرى من الخديعة في أي ميدان، وهو من وجهة نظر البطل الشبح أبو الحبيب السدوسي انتزاع لحق ونيل للأجر وانتصارا لظلم (ألم يكن لهم في قولي إمتاع وفي وعظي متاع وفي وعظي متاع وفيما أوردت من الأمثال والحكم مما يصرفهم عن القاضي والحكم»[46] وقد تنوعت موضوعات التبئير في المقامة الثالثة عشر بتعدد مستويات التبئير التي احتكمت إلى تناوب تبئيري حدد علاقة المبئر بموضوع تبئيره. فقد استهل المبئر الرئيسي وهو السائب بن تمام مقامته بتبئير ذاتي كان هو نفسه موضوعا للتبئير، حيث صور مشاعره وانطباعاته وتخوفاته أثناء رحلته وتقلبه في الأرض وذلك حينما حلّ باليمامة "وردت اليمامة ولا أملك سدرا ولا ثمامة، قد أخذت الأرض عرضا وطولا، واقتضيت من زمني مخلفا ومطولا، أذهب في غير مذهب، وأخوض من رأيي في ظلام وغيهب"[47].

صوّر الراوي المبئر عالمه الداخلي راصدا مشاعره الداخلية وانطباعاته وهو ما يشعر به كل غريب من مشاعر الغربة والخوف والتوجّس وتشتّت الذهن واضطراب النفس. ثم شرع في تبئير المشهد في السوق حيث تحول هذا المشهد إلى موضوع تبئير فكانت عين الراوي عدسة نقلت أجواء السوق "وإذا بجمع قد انفضّ ختامه، وسطع قتامه، واستطار وهجه، واستدار رهجه"[48]. وفيه تجلى موضوع التبئير وهو منظر حشد من الناس وسط غبار متطاير حجب الرؤية عن الراوي الذي لم يستطع أن يحدّد سبب هذه الحشود والتجمعات التي ملأت السوق والدليل على احتجاب الرؤية المبئر الحسية وبالتالي المفهومية هو انطباعه عن المشهد "فتخوفتها حالة وقلت أنشوطة لا محالة «فاحتجاب الرؤية عن المبئر هو الذي حمله عن الظن بأن الأمر مجرّد حيلة»[49].

حدّدت طبيعة العلاقة بين الراوي والبطل في المقامة الثالثة عشر علاقة المبئر بموضوع تبئيره فكان البطل أبو الحبيب السدوسي هو موضوع التبئير وكان الراوي السائب بن تمام عينا ترصد حركة البطل وعدسة تتابع تصرفاته، وقد احتكمت هذه العلاقة إلى مستويين مرّ من خلالها التبئير من مستوى الجهل وعدم المعرفة بالبطل بفعل احتجاب الرؤية الحسية عن المبئر لأن البطل كان ملثّما ولم تتم المعرفة أي الإدراك إلا بعد تعرف الراوي على البطل «فحذر عن لثامه واعترف بآثامه وقال أنا الذي تعرف» فقوله «هو والله الشيخ أبو حبيب ذو اللب اللبيب والسهم المصيب والفهم الخصيب وأخو الظهور والمحل المتمور والمكان النبيه والعزيز الشبيه»[50]. والتعرف جزء أساس في فن المقامات حيث يتخذ البطل المكدي أوضاع وهيئات يتنكر فيها كل مرة فيحتجب عن إدراك الراوي الذي يتعرف فيما بعد عليه وقد تم التعرف في المقامة الثالثة عشر مرتين الأولى كما رأينا تعرف الراوي بالإدراك الحسي على البطل بعد أن نزع اللثام عن وجهة وكان التعرف بالعين أما المرة الثانية فتعرف فيها أهل اليمامة

على البطل نفسه بعد احتجابه عليهم احتجابا إدراكيا حسيا باللثام، فالإدراك الحسي السمعي اعتمد حاسة السمع أداة للتعرف: «ونحن في ذلك نألف مواقع سجعه ونأنس بعطفه للكلام ورجعه حتى تنبه من تمائم وقام بذكره قائم فاستملنا عليه»[51].

وقد قدم الراوي المبئر موضوع تبئير الأساس وهو البطل أبو الحبيب السدوسي من وجهة نظر خاصة به تقوم على الإعجاب بل الانبهار بشخصيته رغم كون البطل مخادعا محتالا يوظف علمه الغزير وذكاءه الحاد وأسلوبه الراقي للحصول على منافع بتضليل الآخرين، وخداعهم خلافا للأعراف الأخلاقية حيث «يبدو قيما سبق الأثر الأول لمقاصد المبئر في رسم موضوع تبئيره أنه يخرج شخصية المكدي عن إطارها الاجتماعي المتعارف عله محولا احتياله على الناس إلى مادة للإعجاب وذلك بسبب إبراز عنصر البلاغة والقدرة البيانية التي يتمتع بها المكدي ذلك العنصر الذي يشكل ملمحا رئيسا في اهتمامات المبئر»[52].

ويتجلى موضوع التبئير الذي قدمته وجهة نظر الراوي القائم على الإعجاب الشديد في قول الراوي «فرجعت معه أعضمة وأرجية وأتعجب من أمره وأعجبه وأقول "لله ما أحسن تخلصك وأحمد تبسطك وتقلصك أي غرض لم يصبه سهمك بل أي ثري لم يقره ذكاؤك وفهمك»[53].

الخاتمة

افتتحت المقامة الثالثة عشر للسرقسطي على تعددية صوتية جسدها تعدد الأصوات السردية باختلاف مواقع الراوي وتلاين المواقف من الحدث الرئيس في المقامة وهو تباين كشفت عنه تعدد مستويات التبئير.

وقد حفلت المقامة الثالثة عشر بتعدد مواقع الرازي من الراوي المجهول إلى الرواي القائم بالسرد الممسك بخيوط اللعبة السردية الى البطل الراوي إلى خصومه من أهل اليمامة.

المصادروالمراجع:

1- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010.
2- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، جزء2، 2008.
3- فاطمة عبد السلام الرواشدة المقامات اللزومية، دراسة نصية، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة مؤتة، الأردن، 2003.
4- السرقسطي، المقامات اللزومية، تحقيق حسن الوراكلي، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006.
5- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.

الهوامش والإحالات:

1- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2010، ص 195.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، جزء2، 2008، ص 278.
4- فاطمة عبد السلام الرواشدة المقامات اللزومية، دراسة نصية، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة مؤتة، الأردن، 2003، ص 98.
5- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص 282.
6- المرجع نفسه، ج2، ص 279.
7- السرقسطي، المقامات اللزومية، تحقيق حسن الوراكلي، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2006، ص 128.
8- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص 279- 280.
9- المقامات اللزومية، ص 132.
10- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
11- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
12-فاطمة عبد السلام الرواشدة المقامات اللزومية، دراسة نصية، ص 101.

28- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، ص 41.
29- المرجع نفسه، ص 64-65.
30- معجم السرديات، ص 369، 370.
31- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ص 308.
32- السرقسطي، المقامات اللزومية.
33- المصدر نفسه، ص 129.
34- عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، جزء2، ص 302.
35- فاطمة عبد السلام الرواشدة، المقامات اللزومية دراسة النصية، ص 113.
36- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، ص 68.
37- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 121.
38- فاطمة عبد السلام الرواشدة، المقامات اللزومية الدراسة النصية، ص 105.
39- المقامات اللزومية، ص 128-129.
40- المصدر نفسه، ص 130.
41- المصدر السابق، ص 131.
42- نفسه، ص 128-129.
43- محمد القاضي وآخرون، المعجم السردي، ص 369.
44- المقامات اللزومية، دراسة نصية، ص 107-108.
45- المصدر السابق، ص 110.
46- المصدر نفسه، ص 131.
47- نفسه، ص 128.
48- نفسه، ص 128.
49- المقامات اللزومية، ص 128.
50- نفسه، ص 129.
51- نفسه، ص 129.
52- أيمن بكري، السرد في مقامات الهمداني، ص 76.
53- المقامات اللزومية، ص 133.

13- المقامات اللزومية، ص 128.
14- المصدر نفسه، ص 128- 129.
15- المصدر نفسه، ص 133.
16- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص 146.
17- المقامات اللزومية، ص 129.
18- المصدر نفسه، ص 131- 132.
19- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، ص 148.
20- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 186.
21- أيمن بكر، السرد في مقامات الهمداني، ص 148.
22- فاطمة عبد السلام رواشدة، المقامات اللزومية –دراسة نصية-، ص 119.
23- المرجع نفسه، ص 120.
24- المرجع نفسه، ص 121.
25- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 367.
26- المرجع نفسه، ص 367.
27- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ص 65.

*- المنظور السردي: مبحث من مباحث الصيغة يخص العلاقة بين السرد والحكاية وهو شأنه شأن المسافة نمط تنظيم للمنظور موقع يتم انطلاقا منه التبئير Ronen 1990 وهو يقتضي ذاتا مدركة (أو مبئرا) للعالم الروائي عن طريق الحواس الخمس أو الذهن هي الراوي أو شخصية ما ويستوجب أيضا موضوع إدراك (....) وعمقا قد يكون محدودا وقد يمتد إلى ما لا نهاية له، نفسه، ص 426.

**- وجهة النظر من مباحث الصيغة والصوت ويستعمل هذا المصطلح مرادفا للرؤية (...) والتبئير (...) إلا أنه يتميز منهما بتنوعه وبعده الدلالي فهو يشمل إدراك الذات المبئرة وأفكارها ومواقفها الفكرية في آن واحد وقد طور "راباتال) 1998-1997 Rabatel دراسة المبحث من المنطلق اللساني، فنقد جل الدراسات السابقة وعاب عليها اهتمامها بذات الإدراك أو التبئير وإهمالهما موضوع التبئير والعلامات النصية التي تميزه وتمكن من التعرف إلى نمطه واعتبر المبئر متلفظا صامتا، نفسه، ص 469.